تعتبر رعاية الموهوبين والمتفوقين ضرورة اجتماعية واقتصادية، وإحدى متطلبات التقدم والتطور لأي مجتمع من المجتمعات الإنسانية، لاسيما وأن موازين القوى العالمية تتحدد تبعا لمستوى التقدم العلمي والتكنولوجي، فإحراز التقدم لا يتأتى إلا من خلال رعايتها لأفرادها الموهوبين، واستثمار طاقاتهم وتوظيفها لخدمة المجتمع وتقدمه ورقيه .

وقد عنيت الأمم المتقدمة بالاهتمام والتعرف على الموهوبين منذ الطفولة واستخدمت العديد من المقاييس والاختبارات والوسائل العلمية للكشف عن الاستعدادات والإمكانيات والقدرات والمواهب لدى الأطفال منذ وقت مبكر أي في مرحلة ما قبل الدراسة، والعناية بالموهوبين تستلزم اكتشافهم مبكرا عن طريق اختبارات الذكاء الفردية، والملاحظة من قبل الأهل والمعلمين ثم استخدام إحدى الطرق الحديثة في تعليمهم حسب حالة كل تلميذ، فالموهوبين ثروة غنية في مجالات تطور الأمة وتقدمها لذا لابد من إحاطتهم بالعناية والرعاية اللازمين ووضعهم في البيئة الملائمة لإبراز مواهبهم وطاقاتهم الكامنة.

ونهدف من خلال تدريس مساق إرشاد الموهوبين الوصول بالطالب إلى:

- الإلمام بمفهوم الموهبة والتفوق، وعلى أهم التصنيفات والخصائص.
- التعرف على أهم النظريات والنماذج المفسرة للموهبة والتفوق العقلي.
- إدراك الجهود العالمية والعربية في مجال الاهتمام بالموهبة والتفوق العقلي.
- معرفة الأساليب والأدوات المستخدمة في تشخيص والتعرف على الموهوبين والمتفوقين.
- التعرف على حاجات ومشكلات الموهوبين والمتفوقين، وتحديد أهم الخدمات الإرشادية المناسبة لهم.
- الوقوف على خصائص المناهج المناسبة للموهوبين والمتفوقين، وأساليب تدريسها.
- الوقوف على أنواع وخطوات إعداد برامج الموهوبين والمتفوقين، وأهم التحديات المستقبلية في تربيتهم.

المحور الأول: مقاربة مفاهيمية للموهوبين والمتفوقين

المحاضرة الأولى: تاريخ رعاية الموهوبين والمتفوقين

1- رعاية الموهوبين قبل الميلاد:

عنيت المجتمعات منذ زمن بعيد بالتنقيب عن الموهوبين والمتفوقين ورعايتهم، ففي القرن الرابع قبل الميلاد ركز أفلاطون (427- 347 ق.م) على أهمية انتقاء الأطفال والشباب ذوي الاستعدادات والمقدرات العقلية العالية وتعليمهم ليتولوا زمام قيادة الدولة في المستقبل، وصنف الناس ضمن كتابه الجمهورية "الجمهورية" – الذي وضع فيه مخططا مفصلا لمجتمع يوناني مثالي، وجعل له نظاما تعليميا خاصا- إلى ثلاثة أصناف بناء على تمايزهم من حيث المواهب التي يولدون مزودين بها وهم الحكام والفلاسفة، والجنود والمحاربين، والصناع والزراع، قائلا : إن الله هو الذي وضع في جبلة بعضهم ذهبا ليمكنهم من أن يكونوا حكاما، ووضع في طينة بعضهم ذهبا ليمكنهم من أن يكونوا حكاما، ووضع في طينة بعضهم فضة ليكونوا محاربين، كما وضع في طينة آخرين رصاصا ونحاسا ليكونوا صناعا، وأكد أفلاطون على أن من أهم واجبات الحكام إمعان النظر في معدن كل طفل، والكشف عن الأطفال الذهبيين حتى لو كانوا أصلاب آباء فضيين أو نحاسيين، وتعدهم بالرعاية.

واهتم الرومانيون بانتقاء الشباب الموهوبين، وجعلوا لهم برامج تدريبية خاصة في مجالات القانون والسياسة والإستراتيجية العسكرية بغرض الاعتماد عليهم في توسيع رقعة الدولة الرومانية.

كما اهتمت الكنيسة الرومانية الكاثوليكية على مر العصور بدرجات متفاوتة برعاية الموهوبين والمتفوقين لإعداد القادة، وظل هذا الاهتمام مستمرا ومقتصرا على فئة معينة – أصبح فيما بعد أفرادها جزءا من الطبقة الحاكمة- حتى القرن السابع عشر ميلادي عندما نودي بمبدأ المساواة وضرورة إتاحة الفرص المتكافئة للجميع، وليس لقلة من الأشخاص. لذا توقفت جميع البرامج التعليمية الخاصة نحو ما يقرب قرنين في كل من أوروبا والولايات المتحدة، باستثناء ما دعا إليه توماس جيفرسون *Jefferson* في ولاية فيرجينيا من ضرورة استمرار العناية بالتلاميذ المتفوقين، وقد شمل ذلك التنقيب عنهم بين الطبقات الفقيرة، وإلحاقهم بكلية "وليم ماري " على نفقة الولاية من أجل تنمية استعداداتهم ولمصلحة الولاية ككل

2- رعاية الموهوبين عند المسلمين:

عنى المسلمون في مختلف العصور بالكشف عن الموهوبين والنابهين المتميزين بسرعة الحفظ وسلامة التفكير وقوة الملاحظة، وإلحاقهم بمجالس العلماء والمجامع العلمية، والاحتفاء بهم وإكرامهم من قبل الحكام، وتعليمهم فنون اللغة والأدب وعلوم الدين والدنيا، كالحديث والفقه، والنحو والبلاغة، والعلوم والرياضيات والطب، والفلسفة والمنطق. ولم يكن ذلك غريبا على الإسلام الذي حث على التعلم في قوله تعالى " قرأ باسم ربك الذي خلق"،

وعلى إعمال العقل والتفكير، والتدبر والنظر في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب...".

وقد كانت المساجد عبر العصور الإسلامية مراكز للتعلم ومنارات لطلاب العلم والمعرفة، وعلى رأسها الجامع الأزهر الذي أسسه جوهر الصقلي بعد فتحه مصر (969م) وبدأ كجامعة إسلامية تعقد في ساحته مجالس العلم على نظام الحلقات التي تمتع فيها الطالب بالحرية الكاملة في الحضور والغياب، واختيار المعلم الذي يفضله، والمادة التي يريدها. كما كان لكل معلم صلاحية منح الإجازة (الشهادة) للطالب الذي يرى أنه وصل في استيعابه وإتقانه إلى الدرجة التي يرضاها في تحصيل المادة التي درسها.

ولم يتوقف علماء المسلمين عند حد النقل، وإنما أضافوا الكثير إلى علوم الإغريق والفرس والهند، ونبغ منهم علماء أفذاذ من أمثال جابر بن حيان في الكيمياء، والرازي وابن سينا في الطب، والفارابي في الفلسفة والمنطق والموسيقى، وابن رشد في الطب والفلسفة، والخوارزمي في الحساب والجبر، والمتنبي في الشعر، وابن خلدون في علم الاجتماع. وبفضل هؤلاء العباقرة ازدهرت الدولة الإسلامية في عهود كثيرة كالدولة الأموية والعباسية، كما أصبحت الإمبراطورية العثمانية فيما بعد قوة حضارية وعسكرية ضاربة في القرن السادس عشر الميلادي وذلك بفضل اهتمام السلطان سليمان القانوني (1459- 1566) بالكشف عن الشباب المتميزين بدنيا والنابغين عقليا وتعليميا في مختلف أنحاء الإمبراطورية، والعناية بتربيتهم وتدريبهم وتأهيلهم لتولي زمام القيادة في الجيش، ومختلف دوائر العمل بالدولة.

وقد ازدهرت عبر العهود الإسلامية المتعاقبة فنون عديدة، كالعمارة الإسلامية التي تجلت في المساجد والخانات، والقلاع والأسوار والثكنات العسكرية، والقصور والمدارس، إضافة إلى الزخرفة الإسلامية، والخط العربي والتذهيب، والتصوير الجداري، والفخار والخزف، والزجاج والبلور، والنسيج والحفر، وأشغال الخشب والمعادن، وتصوير المخطوطات والكتب العلمية التي من بينها عجائب المخلوقات للقزويني، وحياة الحيوان للدميري، وكذلك تصوير الكتب الأدبية من مثل مخطوط كليلة ودمنة لابن المقفع الذي يعد من أقدم النصوص المزينة بأشكال الحيوان والطبيعة، وكتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ورباعيات الخيام، ومقامات الحريري وغيرها من الأعمال الفنية التي تذخر بها متاحف العالم، وتؤكدها الشواهد الباقية من آثار هذه الفنون المتعددة بالعواصم الإسلامية ومختلف البقاع التي شملتها الفتوحات الإسلامية من آسيا الوسطى وحتى بلاد الأندلس.

(القريطي، 2005)

3- الدراسات العلمية والعملية لرعاية الموهوبين والمتفوقين:

المرحلة الأولى: أثر التجارب البريطانية

- فرانسيس جالتون *Francis Galton (1822– 1911)*

كانت أفكاره موجهة نحو الأفراد والفروق الفردية، ومفهوم تحسين الجنس البشري مما قاده وساعده في دراسة الوراثة والذكاء. في 1896 تحدث عن وراثة العبقرية عندما أدعى أن عدد العباقرة يمكن تقديره في أي مجتمع، ودراسته لم تأخذ بعين الاعتبار العوامل البيئية أو تاريخ الطفولة.

وفي 1884 أنشأ أول مختبر للأنتروبولوجيا (علم الإنسان)، وإيمانه في المقاييس السيكومترية كأداة لقياس الذكاء كان واضحا في نشراته سنة 1886، ودراساته كانت هامة في دراسة ذكاء العباقرة، وبناء أول اختبارات عقلية فردية، ودرس التوائم، وكتب أول كتاب في الوراثة والذكاء في 1860.

- جيمس كاتل *James Cattel (1860– 1947)*

كان كاتل أول مساعد لوليام واندت في مختبره النفسي، وأول طالب أمريكي يحصل على درجة الدكتوراه في علم النفس التجريبي. خلال وجوده في بريطانيا قابل جالتون وأصبح مساعدا له في مختبر الانتروبولوجيا الذي يركز على الفروق الفردية. ثم عاد للولايات المتحدة ليكون أستاذا في جامعة بنسلفانيا، وأنشأ مختبر شبيه بمختبر جالتون في الشكل والتركيز.

سنة 1980 كتب مقاله (العقل) واستخدم مصطلح (العمر العقلي) لأول مرة، ووصف 50 اختبارا للحواس والحركة. وفي 1891 أصبح أستاذا في دائرة علم النفس في جامعة كولومبيا، وأكمل مساره العلمي في التركيز على الفروق الفردية والتنبؤ بالنجاح الأكاديمي. وأنشأ مؤسسة في الولايات المتحدة للمقاييس الفردية واستخدم الدراسات الفردية.

- كارل بيرسون *Karl Pearson (1857– 1936)*

لاحظ بيرسون الحاجة لنظرية أو علم يتعلق بالمقاييس، وعلى أساس عمل جالتون طور صيغة الارتباطات، معامل الارتباط الخطي، الارتباط اللحظي، الارتباط المتعدد، الارتباط الجزئي ومعامل Q واختبارات كاي (Chi)، وفي عمله مع جالتون وضع الأسس لأشكال جديدة للمقاييس في البحث. ودرس العلاقات الداخلية للعناصر المختلفة التي تصنع الذكاء من خلال طرق الارتباطات.

- شارلز سبيرمان *Charles Spearman (1863– 1945)*

درس الاختبارات من زاوية إحصائية لاعتقاده بأنها ضرورية لمعرفة كيف تترابط مقاييس القدرات المختلفة مع بعضها البعض. في عام 1904 قام بعمل يدعم نظرية الذكاء العام أو نظرية العاملين، والتي تقول بأن عامل واحد (g) زائد عامل أو أكثر محدد (s) سببا للأداء العقلي، العامل (g) مهم لأي نوع من أنواع كل المشاكل أما العامل (s) فهو محدد ولا يتشارك مع أي عامل آخر.

المرحلة الثانية: الأثر التحليلي الفرنسي

- **بينيه *Alfred Binet (1857– 1911)***

ابتكر بينيه أول اختبار ذكاء متضمنا استخدام مفهوم العمر العقلي، وتطوير مقياس للإعاقة، والذي قاد لقياس القدرات العقلية المرتفعة، وبذلك يكون قد مهد الطريق للبحث في مجال الموهوبين وفئات الأشخاص ذوي القدرات الخاصة.

- **ستيرن *Wilheim Stren (1871 - 1938)***

قدم ستيرن مفهومه للنسبة العقلية في ورقة لجنة علم النفس في برلين 1912، وقال في كتابه (الطرق النفسية لاختبارات الذكاء) "أنه يبدو واضحا كم هي قيمة اختبارات الإعاقة العقلية خصوصا في دراسة الأشخاص غير العاديين".

- **جودارد *H. Goddard (1871 - 1938)***

تميز بالاهتمام المتواصل المتطور في الخدمات التعليمية للمعاقين عقليا، وفي 1906 أصبح أول مدير لمختبر الدراسات النفسية للأشخاص ذوي الصعوبات العقلية في فينلاند. راجع مقياس بينيه وسايمون 1908 وقال: "عندما قرأت مقياس بينيه، رفضته لكونه رسمي جدا ودقيق، واعتقدت بأن الدماغ لا يمكن قياسه بهذه الطريقة، ثم أدركت أن شعوري وانطباعي ليس له قيمة مقارنة مع شخص معروف مثل بينيه، وجلست وحاولت تطبيق الاختبار على أطفالنا، وكلما استخدمته أكثر، كلما دهشت لدقته ومناسبته". وفي سنة 1908 قام بترجمته ومراجعة وتعديل المقياس الجديد باستخدام 2000 طفل، وهذا التعديل كان للاستخدام العام مع المعاقين عقليا.

المرحلة الثالثة: اثر علماء النفس والمربيين الأمريكيين

- **ستانلي هول *Stanlly Hall (1844 -1924)***

أسس أول مختبر نفسي في الولايات المتحدة في جامعة (جون هوبكنز 1883)، كما أن العديد من طلابه أصبحوا رواد في مجال حركة الاختبارات العقلية مثل (جوزيف جاسترو، وجيمس كاتل، جون ديوي، جوادرد، تيرمان، ستانفورد).

- **سانفورد *E. Sanford***

عمل في لجنة الاختبارات الجسمية والعقلية للجمعية النفسية الأمريكية، ومهمتهم كانت اعتبار مختبرات تستخدم اختبارات لحالات نفسية غير طبيعية. وتضمن تقريرهم النهائي مناقشة الاتجاه الذي يجب أن تأخذه الاختبارات، والتركيز على استخدام القدرات الحركية والحسية بدلا من المزيد من العمليات العقلية.(**السرور، 1998**)

- **تيرمان *lewis Terman (1877 -1956)***

في عام 1921 شرع لويس تيرمان في بحوثه عن المتفوقين، والتي عرفت بالدراسات الجينية للعبقرية، وتعد أشهر الدراسات الطولية أو التتبعية في تاريخ علم النفس، وقد بدأت هذه الدراسات على تلميذا 1528 بالمرحلة الابتدائية والثانوية بولاية كاليفورنيا، واستمرت ما يقرب من الستين عاما تم خلالها متابعة نمو هؤلاء الأطفال في مراحل النضج والشيخوخة عن طريق تيرمان وزملائه وتلاميذه، وقد تم نشر أول تقرير عن نتائج الدراسة عام 1925 تلتها عدة تقارير تنتهي عام 2015. وكان من أهم نتائجها الأولية: أن الأطفال الموهوبين والمتفوقين يتمتعون بمعدلات صحية جسمية فوق المتوسط، كما أنهم أكثر توافقا واتزانا وصحة من حيث النواحي الانفعالية عن أقرانهم العاديين، مما أسهم في تغيير الأفكار الخاطئة عنهم.

بعد عهد تيرمان نشطت حركة تعليم المتميزين في الولايات المتحدة الأمريكية، ويمكن تلخيص أهم تطوراتها فيما يلي:

- في عام 1942 بدأت شركة "وستنجهاوس" مشروعا لاكتشاف طلاب المرحلة الثانوية الموهوبين من ذوي الاستعدادات العلمية التي تؤهلهم مستقبلا لأن يكونوا علماء مبدعين، وأدى هذا الحدث وما صاحبه من دعاية إلى إبراز قيمة الموهوبين والمتفوقين في العلوم المتصلة بالصناعة، وإلى لفت الانتباه من جديد إلى أهمية الاهتمام بالمواهب.

- أنشئت الرابطة الأمريكية للأطفال الموهوبين 1947 *(American Association For Gifted Children)*.

- صدر كتاب "الطفل الموهوب" الذي حرره بول ويتي Witty عام 1951.

- في عام 1953 أنشئت المنظمة القومية للأطفال الموهوبين *NAGC* (*The National Association For Gifted Children*)، وأصدرت دوريتها ربع السنوية "مجلة الطفل الموهوب" *The Gifted Child Quarterly* عام 1956.

- أقامت الرابطة القومية للتربية *NEA* في فبراير 1958 مؤتمر ترأسه جيمس كونانت الرئيس الأسبق لجامعة هارفارد للبحث في سبيل الكشف عن الموهوبين والمتفوقين أكاديميا وتعليمهم في المرحلة الثانوية.

- أصدر الكونجرس الأمريكي في منتصف عام 1958 قانون التعليم للدفاع القومي، ولم تمض سوى سنوات معدودة إلا وقد حقق الأمريكيون غزو الفضاء الخارجي بإنزال أول رجل على سطح القمر في يوليو 1969.

- تواصلت في الولايات المتحدة تقارير علمية نظرا لشعورها المتزايد بمنافسة بعض الدول لها لاسيما اليابان، كان أهمها تقرير "أمة في خطر" *Nation at Risk* عام 1983، والذي كان لنشره بالغ الأثر في دفع حركة الإصلاح التربوي والتعليمي بها إلى الأمام.

- توالى على المستوى العالمي إنشاء الروابط والمؤسسات الإقليمية والدولية الخاصة بالأطفال الموهوبين والمتفوقين،من بينها المجلس العالمي للأطفال الموهوبين والمتفوقين *WCGTC* والمجلس الأوروبي للموهوبين *ECHA*، والفيدرالية الآسيوية للموهوبين.